

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

الجزء الثاني

سَيِّدَةُ حَفِظَتِ الْمُصْحَفِ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر : دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

كانت طبيعة حفصة البشرية تتغلب عليها في بعض الأحيان ، وتنسى أنها تخاطب رسول الله ﷺ ، ولذلك فقد كانت تحتد أحيانا ، وتعارض كلام رسول الله ﷺ ، كما تعارض أى زوجة كلام زوجها ، وقد حذرها أبوها مرارا من هذه الحدة ، لأن ذلك كان يؤذى رسول الله ﷺ .

فذات يوم ذكر الرسول ﷺ أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة فقال عنهم :

- لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها ..
وفي اندفاع قالت حفصة :

- بلى يا رسول الله ! ألم يقل (تعالى) :

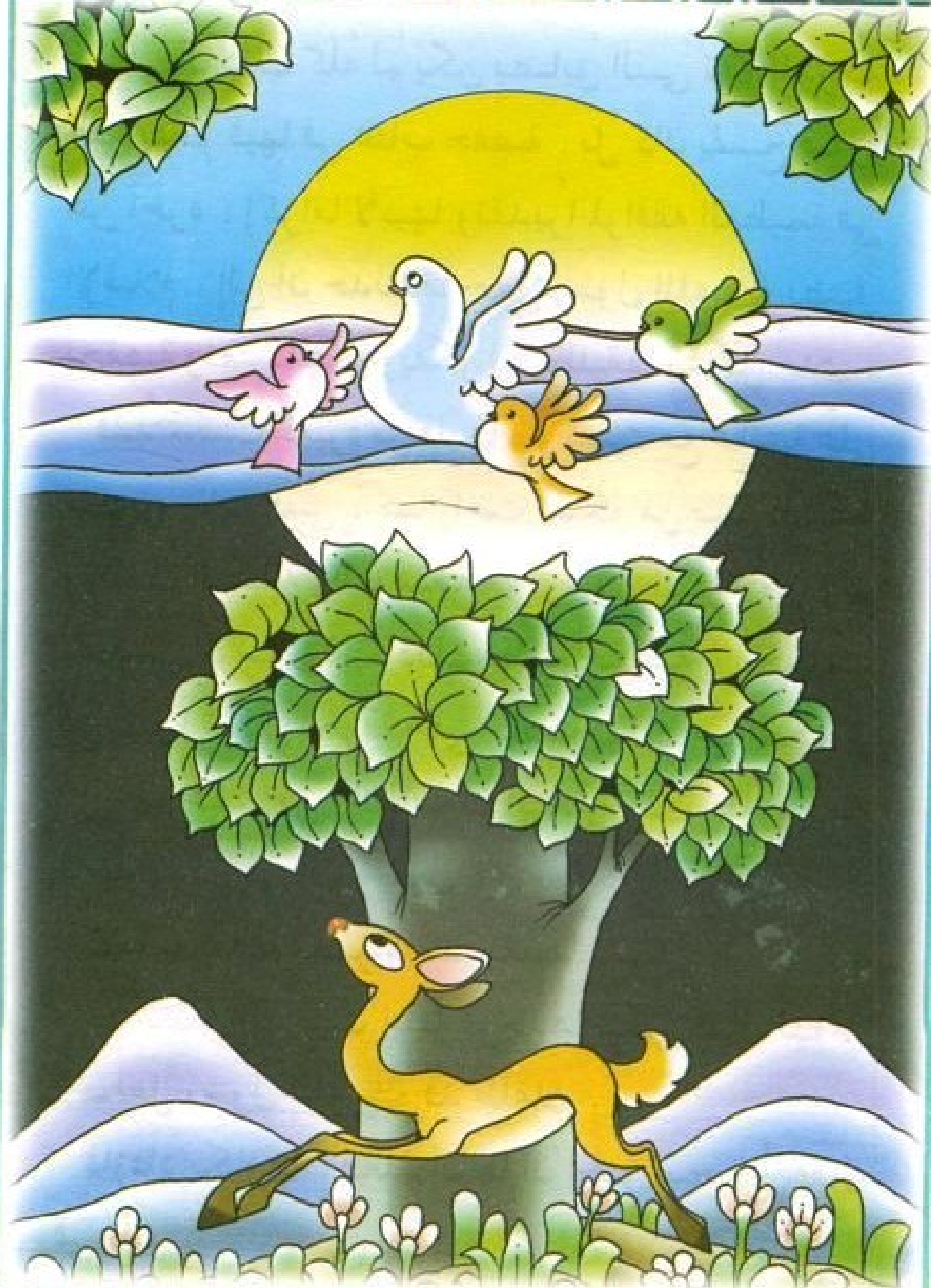
﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ .

[مريم : ٧١]

فتعجب النبي ﷺ من مراجعتها له وردّها عليه وقال ﷺ :
- قد قال الله (عز وجل) :

﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

[مريم : ٧٢]



على أن ذلك كله لم يكن يضايقُ النبي ﷺ للدرجة التي يفكرُ فيها في عتاب حفصة ، بل كان يفسح صدره عن آخره ، إكراماً لأبيها وتقديراً لمواقفه العظيمة في الإسلام ، إلى أن حدث ما جعل رسول الله ﷺ يضيق بحفصة وتصرفاتها ، ويفكرُ في تطليقها بشكل جدّي . فقد تمكنت الغيرة من قلبها ، واتفقت مع عائشة على سائر زوجات النبي ، كما راحت تشكو من ضيق المعيشة وتطلب النفقة والتوسعة من رسول الله ﷺ ، ولم يتحمل الرسول ﷺ ذلك فطلق حفصة ، فجلست في بيتها تبكي بحرقة حتى كادت تهلك من البكاء . وعلم عمر بن الخطاب أن الرسول ﷺ طلق ابنته فأخذ يبكي في ألم ويقول :

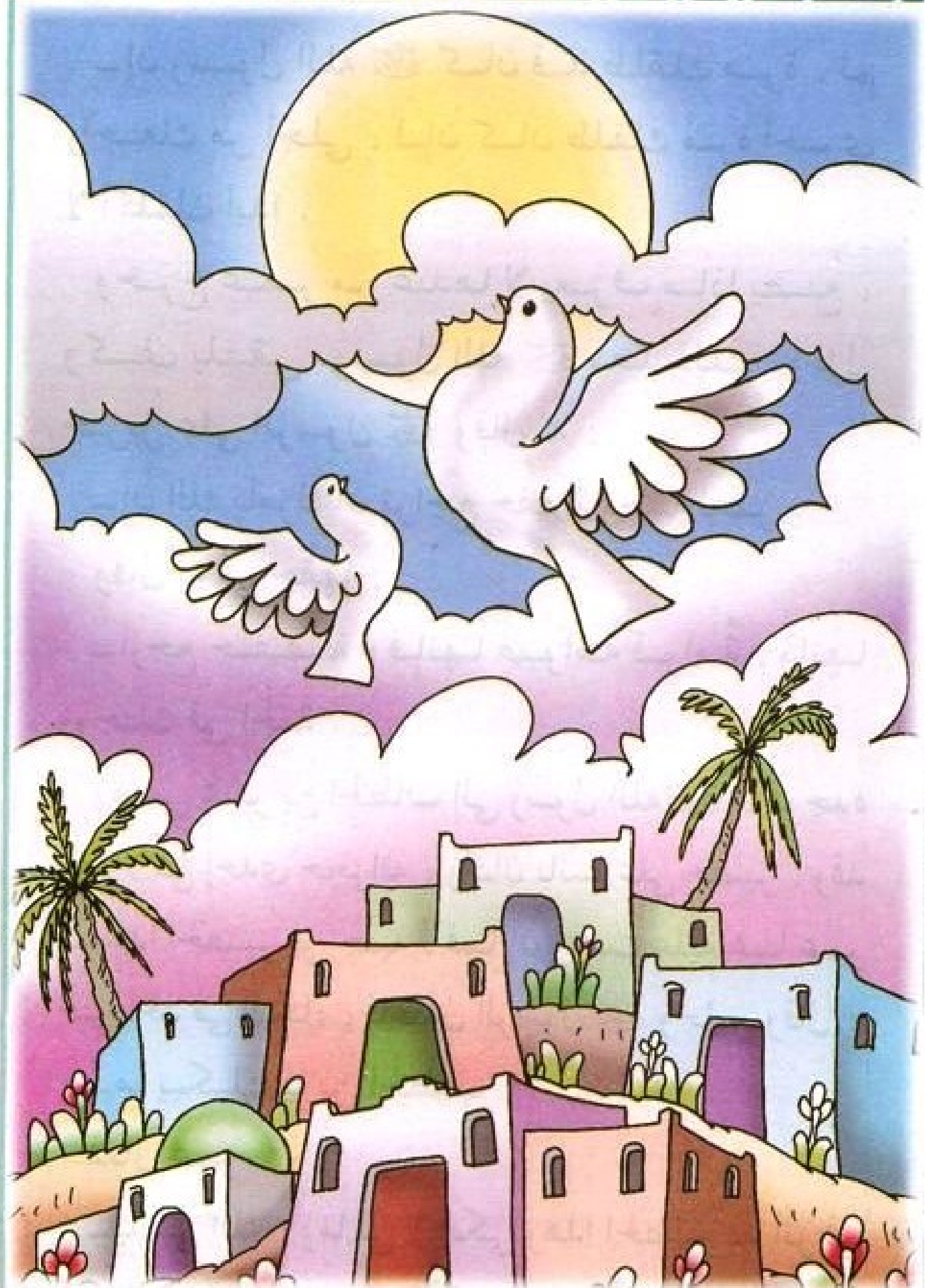
— ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها .

ثم انطلق إلى بيت ابنته فوجدتها تبكي فقال لها :

— لعل رسول الله ﷺ قد طلقك .

فازداد بكاءها ، فعلم أبوها أن الخبر صحيح فقال

في تأثر :



- إن رسول الله ﷺ كان قد طلقك مرة ، ثم راجعك من أجلى ، فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً .

وخرج عمر من عندها لا يعرف ماذا يصنع ، وكيف يلتقى برسول الله ﷺ بعد ذلك ، ونزل جبريل على الرسول ﷺ وقال له :

- إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر .
وقال له في حقها :

- أرجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة .

ومضى عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ ، فوجده معتزلاً في إحدى حجراته ، وكان نائماً على حصير ، وقد أثر هذا الحصر في جنبه ، فما إن وقعت عليه عينا عمر حتى أخذ في البكاء ، فاعتدل الرسول ﷺ وجلس وقال :

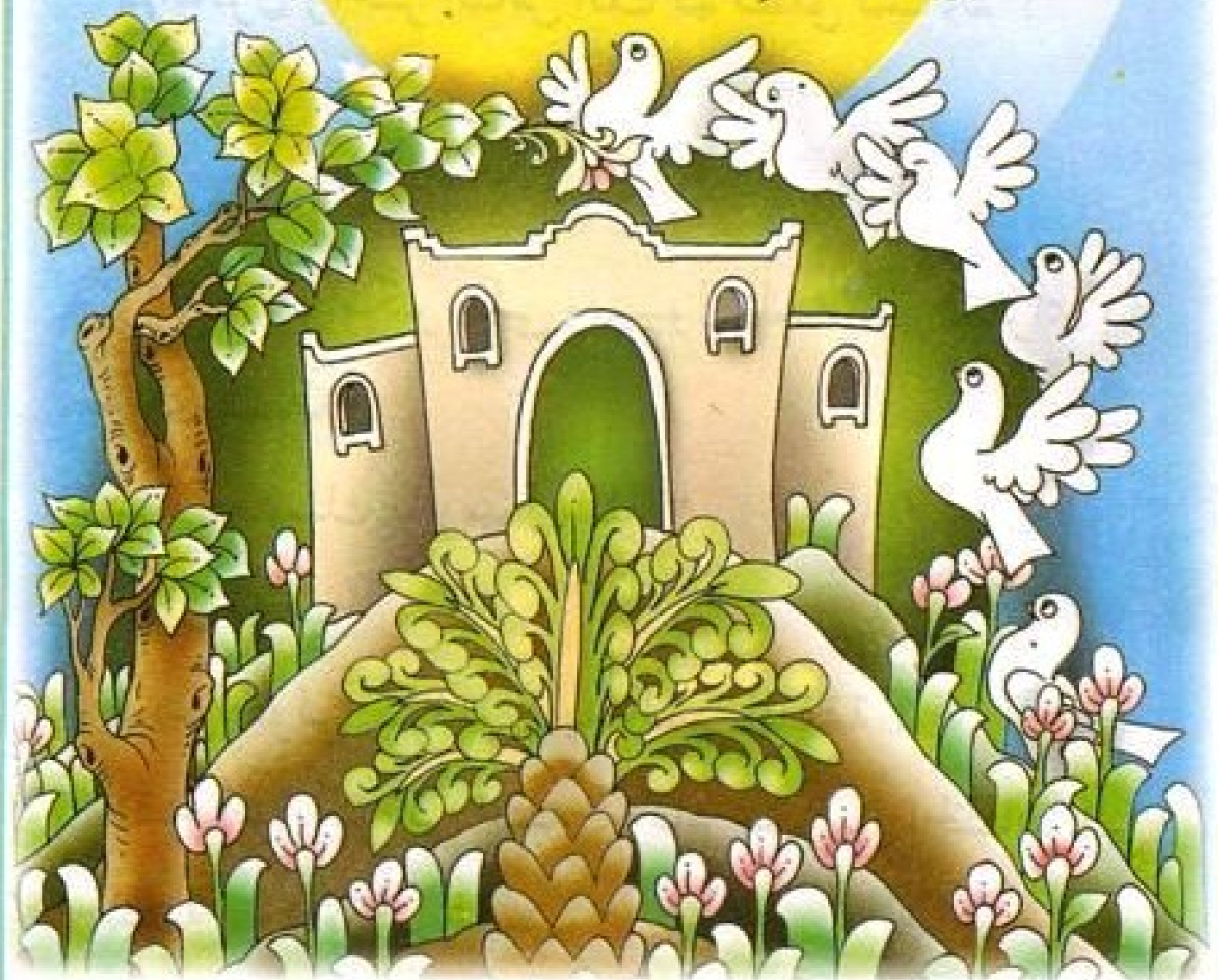
- ما يبكيك يا بن الخطاب ؟

فقال عمر :

- يا نبي الله ، وما لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في

جنبك ، وهذه خزانة لا أرى فيها من الطعام إلا القليل ،
وذلك قصر وكسرى فى الثمار والأنهار ، وأنت رسول
الله ﷺ وصفوته ، وهذه خزانة !
فقال ﷺ :

- يا بن الخطاب ، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم
الدنيا ؟ ووجد عمر بن الخطاب الظروف مناسبة لكى
يتحدث مع الرسول ﷺ فيما جاء من أجله فقال له :



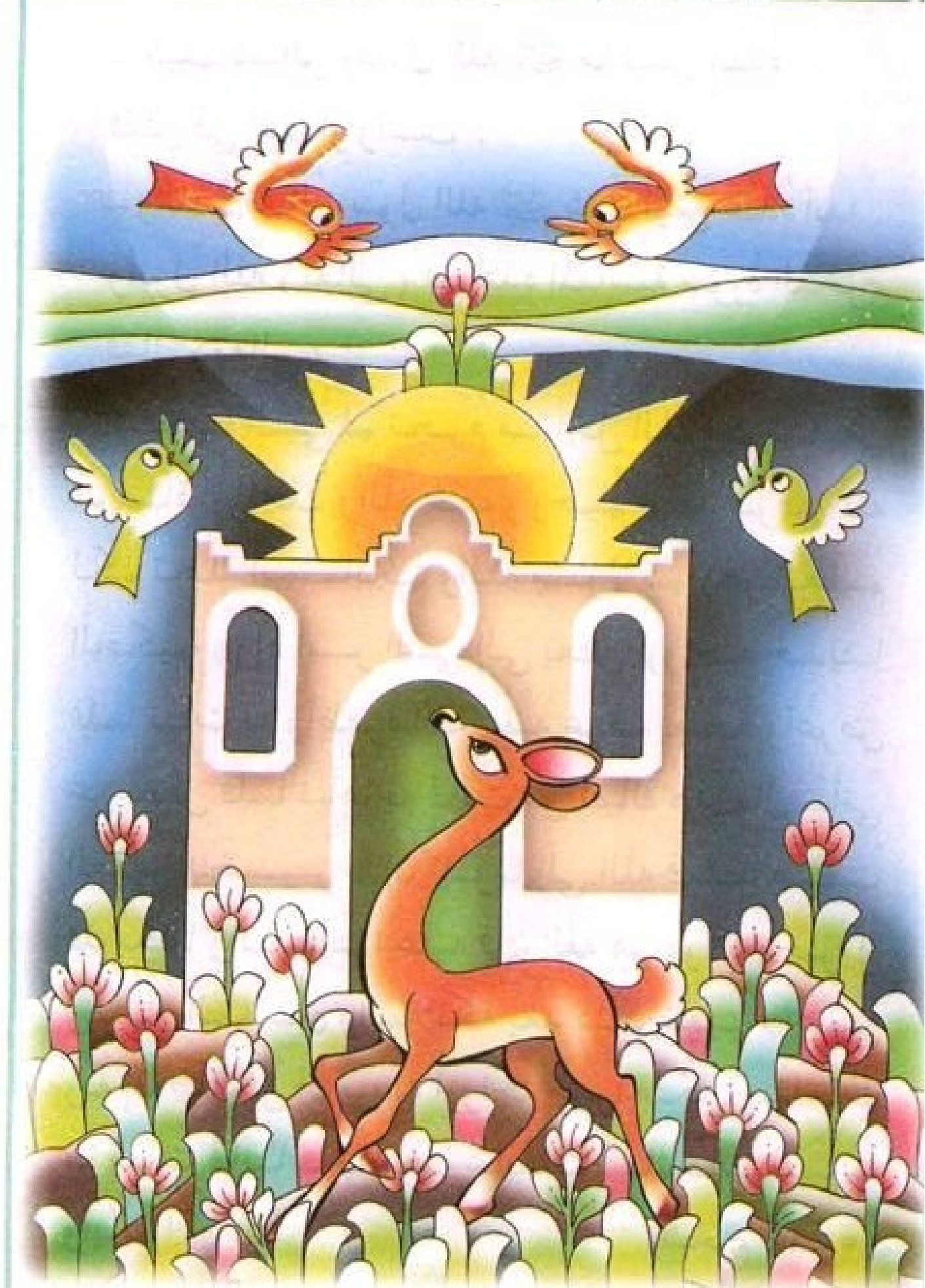
- يا رسول الله ، ما يشق عليك من شأن النساء ،
فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل
وميكائيل ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك .
فأعلمه الرسول ﷺ أنه لم يطلق نساءه ، فقد أمره
جبريل بمراجعة حفصة إكراماً لوالدها ، وهنا تهلل
وجه عمر وقال :

- أفأنزل وأخبر الناس أنك لم تطلق نساءك ؟
فقال ﷺ :
- نعم إن شئت .

ودخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فرأى به
ما رأى فسأله :

- ما يغضبك يا رسول الله ؟
فقال ﷺ :

- هن حولي كما ترى يسألنني النفقة .
فقام أبو بكر إلى ابنته ، وقام عمر بن الخطاب إلى
حفصة ، وقالوا في غضب :



- كيف تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ؟

فقلن في اعتذار وأسف :

- والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئا ليس عنده أبدا .

وأنزل الله (تعالى) في هذه المناسبة سورة التحريم

فقال (تعالى) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثِيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

[التحريم : ١ - ٥]

وما إن سمعت نساء النبي ﷺ هذه الآية ، حتى ندمت كل واحدة على إغضايبها لرسول الله ﷺ ، واستغفرت لذنبيها ، خاصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، فقد كانتا هما السبب المباشر في ما حدث لرسول الله ﷺ .

ففي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنه قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع هيبه له ، حتى خرج حاجا فخرجت معه ، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق ، قلت له :



- يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه ؟

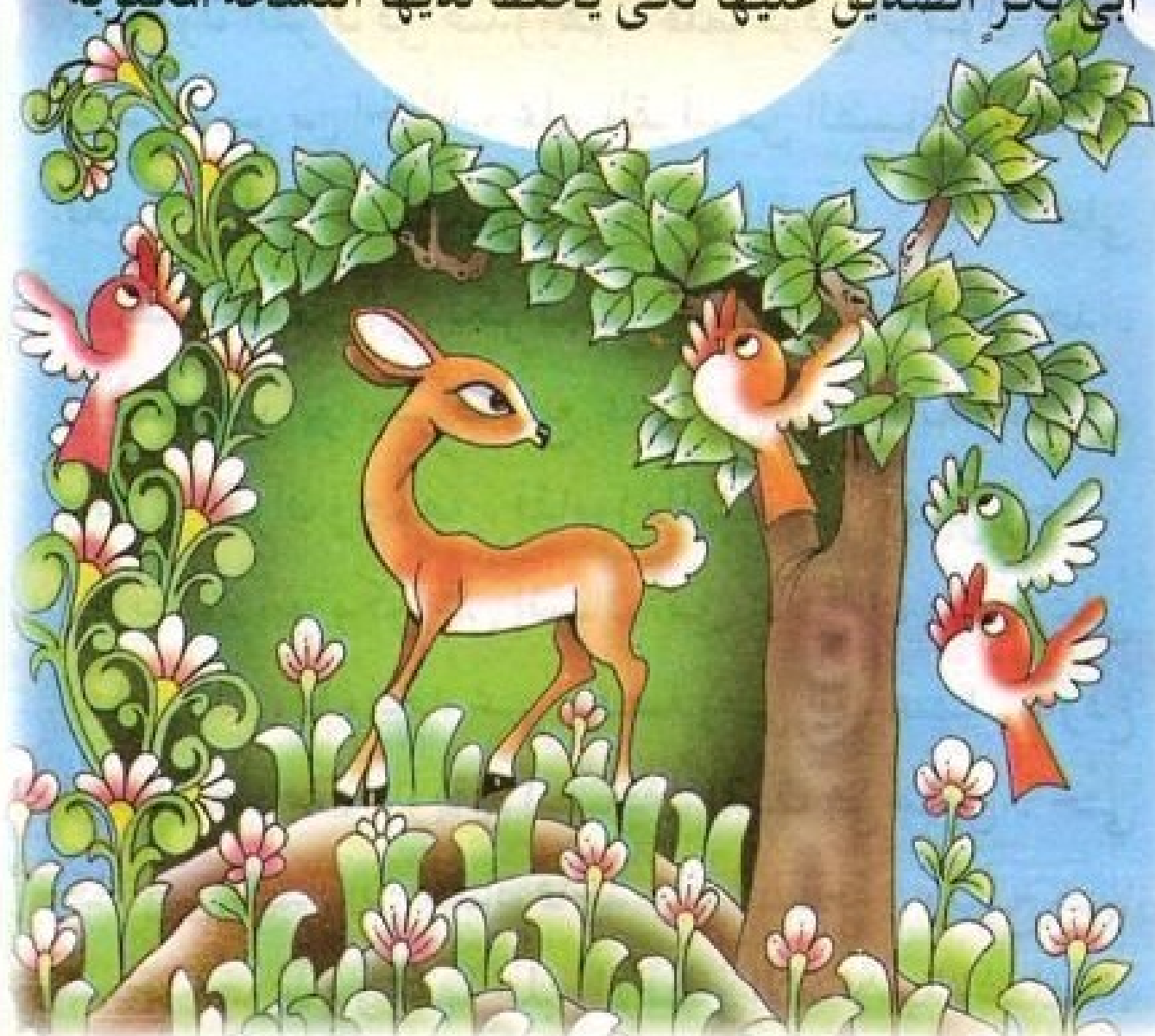
فقال عمر :

- عجباً لك يا بن عباس ، هما عائشة وحفصة !
ووعت نساء النبي ﷺ الدرس ، ووعته حفصة جيداً ، وعلمت أن طاعة زوجها وإرضاءه من أهم واجباتها نحو زوجها ، وأن الله (تعالى) فرض على المسلمين جميعاً طاعة الله ورسوله ، ولذلك فقد حرصت حفصة رضي الله عنها على إرضاء زوجها ﷺ ، وانتصرت حفصة على طبيعتها البشرية ، فتخلت عن الغيرة والاعتراض على رسول الله ﷺ ، وأصبحت نعم الزوجة ، تسعى لإرضاء زوجها مهما كانت التضحيات ، حتى رضي عنها الرسول ﷺ ، ومات وهو عنها راض .

ولعل فيما حدث بين النبي ﷺ وبين زوجاته من الغيرة والعظة ما يفيد المرأة المسلمة في حياتها الزوجية ، فلا تخلو الحياة الزوجية من بعض المشاكل ، ولو كانت

البيوتُ تخلو من هذه المشاكل ، لكان بيتُ النبي ﷺ أولى هذه البيوت بذلك على الإطلاق ، ولذلك فإن مراجعة النفس والصبر والحكمة أهم ما نستعين به في الخروج من هذه المشاكل الطارئة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ ، قامت حفصة رضي الله عنها بأعظم عمل في تاريخ الإسلام ، حيث وقع اختيار الخليفة أبي بكر الصديق عليها لكي يحفظ لديها النسخة المكتوبة



من القرآن الكريم ، وفي هذا دليل على ثقته بها وتقديره لمكانتها ، كما أنه يشير إلى اهتمامها بالقرآن وحفظه ، وكان السبب الذي دعا أبا بكر لجمع القرآن الكريم في كتاب واحد خوفه على القرآن من الضياع أو النسيان ، وكان عمر بن الخطاب هو الذي أشار عليه بذلك .

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أيام النبي ﷺ يحفظون القرآن في صدورهم ، فلما توفى الرسول ﷺ ، خشي عمر بن الخطاب على القرآن من الضياع ، وخاصة بعد أن مات عدد كبير من حفظة القرآن ، فأشار على خليفة المسلمين أبي بكر بجمع القرآن في كتاب واحد ، واستجاب أبو بكر فجمع عددا من الصحابة وكلفهم بكتابة القرآن وجمعه ، فقاموا بالمهمة على أكمل وجه .

وبحث أبو بكر عن إنسان أمين يمكن أن يأتمنه على كتاب الله ، فلم يجد غير حفصة رضي الله عنها ، فأودع لديها المصحف ، وبقي المصحف لديها في مأمن ، حتى جاء زمن عثمان بن عفان فأخذ هذه النسخة ، ونسخ منها نسخا أخرى ووزعها على الأقطار الإسلامية المختلفة ،

لفتة على حساب أخرى ، ولذلك فقد ظلت بعيدة
عن الفتنة بقلبها وبنفسها .

وعاشت حفصة رضي الله عنها صوامة قوامة إلى أن
لقيت ربها راضية في العام السابع والأربعين للهجرة .
وقد خلد التاريخ ذكرها وصنيعها العظيم ، حيث
حفظت أول نسخة مكتوبة من المصحف الشريف ،
وكانت حريصة على هذه الوديعة الغالية .

وهكذا كانت حفصة رضي الله عنها مثالا للمؤمنة
الصادقة والزوجة الصالحة ، فعلينا أن نقتدى بها
وننتفع بسيرتها العطرة وأن نتعلم منها دروسا
تفيدنا في حياتنا وبعد مماتنا .

رحم الله حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها الصوامة
القوامة التي حفظت المصحف ونفعنا بسيرتها ، ونفع بناتنا
وأخواتنا وأمّهاتنا بسيرتها العطرة ، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين ..

(تمت)

الكتاب القادم

حفصة بنت خزيمة (أم المساكين)

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٣٩٤٢

الترقيم الدولي : ٤ - ٥٧٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧